التاريخ الإسلامي

العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا السوداء خلال القرن الرابع الهجري/10م

د(ة). بلهواري فاطمة*

تقديم

من الواضح أن فهم الحركة الاقتصادية للقرن الرابع الهجري لبلاد المغرب لن يتم دون الإلمام بتطور التجارة الصحراوية وشبكة طرقها، ومهما قيل عن قدم العلاقات التجارية بين بلاد السودان وإفريقيا -جنوب الصحراء- إذ فإنه يصعب التسليم بوجود تجارة منتظمة بين المنطقتين قبل القرن الثاني الهجري/8م2.

وقد اعتبر"لمبارد"3 هذه المسألة" من أعظم أحداث العصر الوسيط العالي وبأسف لضياع المصادر المعاصرة التي تحدثت عنه، ولكنه ينتهي إلى التسليم بأنه منذ أواخر القرن الثاني للهجرة ارتبطت تجارة العالم الإسلامي بهذه الشبكة الجديدة من طرق القوافل والتي تشمل شبكات الشرق ونحو الروم، ففتحت أمام طرق المواصلات العامة أفق العالم السوداني بكامله.

أما"موني"Mauny.R" 4 فلا يتردد في اعتبار العرب المسلمين روادا في هذا الميدان، إذ ذكر وهو يتحدث عن الجغرافيين الذين اهتموا بإفريقيا السوداء" إن إعطاء العصر القديم فيما يخص المنطقة التي تهمنا هو صفر على وجه التقريب". ويستبعد أن يكون القدماء قد عرفوا الصحراء جنوب توات أو فزان وينتهي به البحث إلى التسليم بهذه الحقيقة، وهي أن معرفة إفريقيا جنوب الصحراء لم تكن إلاّ على يد العرب المسلمين.

---

* أستاذة محاضرة بقسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران

كما أن أهم الطرق التجارية كانت حتى تلك الحقبة، تتجه باتجاه شمال –شرق وجنوب– غرب منطلقة من الواحات المصرية ومن جنوب افريقية نحو منحى نهر النيجر مارا عبر صحراء فزان، إلاّ أنه بطل استخدامه قبل القرن الرابع الهجري لأسباب طبيعية وأمنية 5. وحول هذا ذكر "ابن حوقل" أن شكلت الرياح والعواصف الرملية عائقا مدمرا لغالبية القوافل المارة بهذا الاتجاه، الأمر الذي دفع إلى هجرانه والانتقال عنه إلى سجلماسة 6. غير أن العودة إلى هذا الطريق استؤنفت في القرن الثامن الهجري/14م7. وعليه، يجب أن نقف عند أهم شبكة الطرقات والمسالك التجارية التي ربطت بلاد المغرب بإفريقيا السوداء، وبخاصة خلال القرن الرابع الهجري والذي مثل قرن الانتعاش الاقتصادي عموما من جهة، وبالتنافس والصراع لأجل التحكم في منافذ تجارة الذهب والرقيق والملح من جهة أخرى.

أولا: شبكة الطرق التجارية عبر الصحراء

والجدير بالذكر، أن تشكيل الصلات والروابط بين الشمال والصحراء الإفريقية وجنوبها اكتمل في القرون الخمسة الأولى عبر ثلاثة مسالك رئيسية وتفرعت عنها طرق ثانوية وهي:

الطريق الأول– الطريق الغربي– ويربط المغرب الأقصى بالسودان الغربي، واستغرق المسير فيه خمسة وثمانين يوما8 . وقد ذكر "اليعقوبي" أن هذا الطريق يبدأ من سجلماسة لمن سلك متوجها إلى القبلة يريد أرض السودان9، وأكد "الحموي" هذه الأهمية10.

ولاشك أن مدينة سجلماسة شهدت حركة تجارية نشيطة باتجاه بلاد السودان" وقد أشاد "ابن حوقل" بهذا " أن قوافلهم –أهل سجلماسة– غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة، قلما يدانيها التجار في بلاد الإسلام سعة حال"11. وجاءت هذه الصورة، وسجلماسة تحت سلطة الفاطميين، مما يدل على أنها لم تفقد مكانتها ودورها الأساسي في التجارة الصحراوية. ولذلك يعدها

"البكري" مدخلا لبلاد غانا12. وعندما تغادر القافلة التجارية هذه المدينة نحو الجنوب، تتوغل في الصحراء الغربية، لتصل إلى قوم يقال لهم أبنية*13.

ويستمر سير القوافل التجارية إلى أن يصل إلى أودغشت، والتي لم يحدد جغرافيو القرن الثالث الهجري موقعها من الصحراء تماما، فإذا كانت هي غسط التي ذكرها اليعقوبي14، فإن هذا الأخير لم يورد عنها شيئا، وكل ما يفهم مما ذكره أنها ترتبط بسجلماسة بطريق قبلي، وأنها في واد عامر به المنازل غير أن هذا التحديد لموقع هذه المدينة غير دقيق.

وما يلفت الانتباه أن "ابن حوقل" لم يكشف هو الآخر عن هذا الغموض15، وكذلك كان شأن "البكري"16، وربما كان عذر هذا الأخير أنه لم يزر الصحراء ولا المغرب بعامة، وأنه لم يعثر على تحديد لموقعها بين المؤلفات التي اعتمد عليها. كما يرجع هذا النقص في المعلومات إلى طبيعة التدوين للمواقع الجغرافية حيث انصب اهتمامهم في ذكر المسافات والتحديد التضاريسي17.

وظل ذلك الغموض قائما في تحديد موقع اودغشت إلى أن توصلت إحدى الدراسات الغربية بعد التنقيبات التي أجريت بعين المكان وذلك سنة 1939م، أنها تقع إما جنوب ركيز (Irkiz) أو في أفولي (Affoly)18.

والغريب، أن "اليعقوبي" ينتهي بهذا الطريق إلى هذه المدينة غسط، ولا يشير إلى امتداده إلى غانة19، مما قد يطرح تساؤلا هل هذا تعبير عن ضعف دور هذا المسلك في زمنه؟ أم أنه تجاهل ذكره، كما تجاهل ذكر بلاد السودان الغربي عامة20. في حين أشار "ابن حوقل" إلى أن الطريق يستمر إلى مدينة غانة، وقد تعزى هذه التفاصيل بدون ريب إلى أن هذا الجغرافي زار اودغشت (غسط) سنة(340هـ/951م)، وقد ذكر:" أن المعتز لم يزل أيام ولايتها وهو أميرها يجتبيها من قوافل خارجة إلى بلاد السودان وعشر وخراج وقوانين قديمة..."21. هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه هذا الطريق خلال هذه الحقبة، وهنالك فرع آخر للطريق الغربي، والذي يبدأ من مناطق السوس في المغرب الأقصى مارا بالصحراء الغربية ومنتهيا بمدينة غانة22.

ويصف "ابن حوقل" هذا الطريق ويذكره في شكل مثلث رأسه مدينة أودغشت، وأقصر أضلاعه بين السوس وأودغشت، والضلع الآخر هو الممتد بين سجلماسة وأودغشت، ومنها إلى غانة، وإلى مراكز الإنتاج السودانية مثل كوغة. وهكذا كشف هذا الجغرافي عن وجود طريق رابط بين السوس الأقصى وأودغشت في القرن الرابع الهجري23. والظاهر أنه نفس الطريق الذي أشار إليه "ابن الفقيه" بذكره الطريق من طرقله-إحدى مدن السوس- إلى غانة24، وبهذا يعد الطريق الغربي من أنشط الطرق التجارية الصحراوية إلى بلاد السودان خلال هذا القرن، بعد أن بطل العمل بطريق مصر-غانة عبر صحراء فزان.

أما الطريق الثاني:- الطريق الأوسط-، ويربط تيهرت بالسودان الغربي، وذلك بواسطة طريقين رئيسين، الأول طريق غربي يمر عبر سجلملسة، والثاني شرقي بالنسبة للأول، ويمر عبر ورجلان25. فالأول تسير فيه القوافل من تيهرت إلى فاس، ثم باتجاه سجلماسة. وقد كان "اليعقوبي" أول من أشار إلى وجود طريق يربط بين تيهرت وسجلماسة، إذ ذكر أن من خرج من تيهرت سلك الطريق بين القبلة والغرب وسار إلى مدينة يقال لها أوزكا، بها فخد من زناتة يقال لهم بنو مسرة، ثم يواصل "هذا الجغرافي" تتبعه لهذا الطريق، فيضيف قائلا: "من مدينة أوزكا لمن سلك مغربا إلى أرض لزناتة، ثم يسير إلى مدينة سجلماسة26.

وقد قدر المؤلف نفسه المسافة من تيهرت إلى أوزكا بثلاث مراحل، ومن هذه المدينة إلى سجلماسة بسبع مراحل أو نحوها على حسب الجد في السير والتقصير27، أي أن المسافة بينهما حوالي عشرة مراحل. في حين أحصى "الحموي" مسافة هذا الطريق بعشرة أيام28.

كما فصل "الإدريسي" عند ذكره هذا المسلك، بأن القوافل تسير من فاس إلى صفروى إلى تادلة إلى آغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة29. ويبدو أن هنالك طريق مباشر بين فاس وسجلماسة، حيث اعتبر "ابن حوقل" إقليم آغمات عن يسار طريق فاس إلى سجلماسة، وقدرت مسافته بثماني مراحل، ومثلها إلى فاس30.

بينما نجد أن الفرع الثاني من الطريق الرئيسي، حيث يخرج التجار من تيهرت إلى حصن ابن كرام عبر متيجة ومنه إلى إمارة هاز، ثم إلى بلد بني دمر، ثم يصلون إلى بوابة بلاد الزاب من الجهة الغربية وهي أدنة31، ومنها إلى المسيلة، كما أشار إليه "ابن حوقل" قبل وصول مدينة مقرة32.

ويرجع سبب اختيار الفاطميين في إنشاء هذه المدينة بهذا الموقع إلى أهميتها التجارية مع بلاد السودان33. ويتواصل السير إلى طبنة ومنها إلى بسكرة ثم إلى ورجلان ومن هذه النقطة مرورا إلى منطقة أدرار، وأفوقاس وصولا إلى تادمكة التي كانت مركزا تجاريا هاما، ويقع في قفار ومفازات34. وهي في شمال شرقي منحى نهر النيجر35. ثم يستمر السير إلى مدينة كوكو ومنها إلى غانة والمراكز السودانية الأخرى36.

كما توجد عدة طرق فرعية لهذا الطريق الرئيسي، منها فرع يبدأ من القيروان إلى بلاد الجريد، حيث مدينة قسطيلية بالجنوب التونسي، ومنها يتجه الطريق إلى واحة ورجلان ومنها إلى مناطق السودان الغربي37. ويوجد فرع آخر يربط سجلملسة بواحة ورجلان بواسطة الصحراء الغربية، وقد أشار إليه بعض مؤرخي الإباضية38. وقد سلك هذا الطريق "عبيد الله المهدي" الفاطمي في نهاية القرن الثالث الهجري/9م، عندما كان متوجها إلى سجلماسة39.

والحقيقة أن هذا الطريق أشتهر في القرن الرابع الهجري، خاصة بعد أن تقلص نفوذ الإباضية في تيهرت بعد سقوط إمارتهم، فاتجه أغلبهم إلى واحة وارجلان، وسيطروا على هذا الطريق المهم. وقد حاول الفاطميون محاصرتهم لكنهم فشلوا في ذلك، وبقيت هذه المدينة معقلا للمقاومة الإباضية ضد الفاطميين40. ويبدو أن هذا الطريق سرعان ما استولى عليه أمويو الأندلس الذين فوتوا فيه بدورهم لفائدة المرابطين فيما بعد، ولم تستطع السلطة الزيرية إرجاعه41.

أما الطريق الثالث - الطريق الشرقي- فهو يربط مناطق طرابلس بالسودان الغربي، مارا بجبل نفوسة في اتجاه مدينة غدامس، ثم إلى تادمكة ومنها يصل إلى

منحنى نهر النيجر42. وهنالك فرع ثان للطريق الشرقي الذي يربط مناطق طرابلس وبرقة بالسودان الأوسط (كانم) عبر صحراء فزان، ويبدأ من طرابلس باتجاه الجنوب إلى صحراء فزان ويمر بزويلة المحطة التجارية المهمة في صحراء فزان، ثم يسير إلى مناطق كانم بالسودان الأوسط43. وبذلك نستطيع القول أن مناطق برقة وطرابلس ارتبطت بالسودان الأوسط والغربي بطرق تجارية سارت عبر صحراء فزان44.

والظاهر أن طريق السودان الأوسط (كانم) كان سالكا منذ القرن الثالث الهجري/9م، حيث مارس الإباضيون التجارة عبر فزان إلى بلاد السودان، وقد دلت الحقائق التاريخية عن وجود علاقات تجارية بين حاكم كانم وحاكم جبل نفوسة "أبو عبيد عبد الحميد الجنادي"، إذ كان هذا الحاكم يعرف اللغة الكانمية، ولا بد أن تكون هذه المعرفة باللغة متأتية من وجود صلات بين الإباضية وبين كانم. إذ كانت العلاقات بينهما اقتصادية بالدرجة الاولى، خاصة وأن الإمارة الإباضية التي نشأت في زويلة أثناء القرن الرابع الهجري تحت حكم بني خطاب الإباضي، مارست نشاطا تجاريا كبيرا في كانم عبر الصحراء45.

ولا بد لنا من القول، أن هذه الطرق التجارية التي ذكرناها، تتحكم بها عوامل سياسية واقتصادية وجغرافية تؤدي إلى تغيير مسالك القوافل من وقت لآخر، غير أن اتجاهاتها عموما تبقى ثابتة، ما دامت المراكز التجارية الواقعة عليها لم تفقد قيمتها لسبب أو لآخر.

وبعد أن اندثر الطريق الذي يربط مصر بالسودان الغربي المار عبر فزان بسبب العوامل الطبيعية كما أسلفنا الذكر، اتجه التجار إلى استعمال طريق سجلماسة-أودغشت. كما نشط الطريق الأوسط الذي ربط وارجلان بالسودان الغربيين بفعل العمل السياسي المتمثل في نشاط الإباضية عبره بعد أن سقطت الإمارة الرستمية في تيهرت. وقد كان للصراع الذي حدث في هذا الزمن بين مختلف القوى السياسية للسيطرة على بعض الطرق التجارية من أجل استمرار توقف الذهب السوداني، كالصراع الذي شهدته المنطقة بين الفاطميين وأموي الأندلس كان من أجل السيطرة على الطريق الصحراوي الغربي، الذي ينطلق من سجلماسة.

وكان من نتائج هذا الصراع أن تدخل الأمويون في المغرب الأقصى لغرض منع الفاطميين من الهيمنة على تجارة الذهب مع السودان46. وفعلا تمكن الأمويون في فترات من القرن الرابع الهجري من استعادة الإشراف على الطريق الغربي، بينما ظل الفاطميون أصحاب السلطان على الطريقين الأوسط والشرقي.

ويذكر "الجنحاني" أن السيطرة الفعلية على الطريق الأوسط كانت عبر وارجلان بالنسبة للخوارج الإباضية، ولم يفلح الفاطميون في السيطرة عليه تماما47، رغم الحملات العسكرية التي سخرت لهذا الغرض، إذ كانت حملة 347هـ/958م آخر محاولة لهم للسيطرة على المسلك الغربي سجلملسة-أودغشت-بلاد غانة، وذلك للحصول على ذهب السودان48.

وتجدر الإشارة هنا، بأن الفاطميين كانوا أصحاب السيطرة المطلقة على الطريق الغربي، خاصة في الفترات التي خضعت فيها سجلماسة لسلطتهم، واستمر هذا الحال حتى رحلوا إلى مصر في عام (362هـ/972م) . وقد حاول هؤلاء حتى بعد رحيلهم إحياء المسلك الرابط بين مصر وبلاد السودان تعويضا للمسلك الغربي، حيث ثمة إشارة عند "ابن الآبار" مفادها أن "يحي بن علي بن حمدون الجذامي" يكون قد استعمل هذا المسلك لما فر من الأندلس متجها نحو القاهرة ويقول فيها :"فصار إلى سجلماسة ثم ركب الصحراء إلى مصر، فقابله "العزيز بالله أبو المنصور نزار" وهو عصرئذ الخليفة بها"49.

ثانيا : أنواع المبادلات التجارية

شملت صادرات بلاد المغرب إلى بلاد إفريقيا السوداء خلال القرن الرابع الهجري/10م سلعا وبضائع متنوعة ومختلفة، كان بعضها مغربية والأخرى مشرقية، فضلا عن السلع والبضائع من حوض بحر الروم، حملها التجار العرب عبر الطرق الصحراوية المتعددة التي تربط بلاد المغرب بالسودان.

وكانت الحبوب والتمر من السلع الأساسية التي نقلها التجار المغاربة إلى بلاد السودان، لعدم توفرها عندهم. فمدينة أودغشت كان "يجلب إليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الإسلام على بعد"50، وخاصة من ورجلان وقسطيلية. كما كان يحمل لها "النحاس المصبوغ وثياب مصبغة بالحمراء والزرقة مجنحة"51.

وكذلك كان التجار المغاربة يصدرون إلى هذه المناطق الجلد المدبوغ الذي تنتجه زويلة وغدامس وخاصة جلود مدينة فاس52 وأغمات والتي اشتهرت بها.

هذا إلى جانب، أن بلاد المغرب صدّرت بعض الأواني الفخارية إلى مدينة أودغشت53، فالتنقيبات الأثرية التي أجريت في هذه المدينة قد أثبت وجود أواني فخارية مغربية الصنع تعود إلى عهد الدولة الرستمية54. هذا وقد أشار "ابن صغير" إلى سير القوافل من تيهرت إلى السودان دون أن يفصل في ذكر أنواع السلع55.

في حين قدم "الإدريسي" قائمة طويلة بصادرات بلاد المغرب نحو هذه الجهة في قوله: "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاويه والعطر وآلات الحديد المصنوع"56.

فمدينة ايجلى الواقعة في منطقة السوس كان يحمل منها النحاس المسبوك الذي اشتهرت بحمله إلى بلاد السودان57. أما مدينة سجلماسة هذه المحطة التجارية المهمة لقوافل الصحراء المتجهة خاصة نحو أودغشت وغانة وتكرور، فكانت تصدر أنواع المحاصيل الزراعية كالتمر والزبيب وأنواع البضائع المصنوعة يدويا كالمنسوجات السلجماسية الشهيرة 58.

ويشير "الحموي" إلى أن التجار كانوا يسافرون من سلجماسة إلى غانة وكان جهازهم الملح وعقد الخشب الصنوبر، وهو من أصناف شجر القطران،... وخرز الزجاج الأزرق، وأسورة نحاس أحمر وحلق وخواتم نحاس لا غير59. هذه السلع لم تكن ذات قيمة في حد ذاتها، ولكن قيمتها تزداد بسبب المسافات الطويلة والسفر المضني، الذي يتطلبه نقلها إلى هذه البلدان التي تحتاج إليها ولا تملكها60.

وأغلب الظن أن هذه السلع إذ لم تكن مغربية من سلجماسة، فإن التجار المشارقة أو غيرهم جلبوها إلى بلاد المغرب، وحملوها إلى بلاد السودان. ويبدو أن السودانيين كانوا يستوردون حتى سميد الأرض من مدينة فاس حسبما يذكر صاحب الاستبصار61.

وأهم بضاعة حملها التجار المغاربة إلى بلاد السودان مادة الملح لحاجة أهل تلك البلاد الماسة له ولانعدامه في مناجمهم62. فضلا عن صعوبة نقل ما يستخرج منه من شواطئ البحر المحيط إلى الداخل لارتفاع درجات الحرارة. كما أن أهل بلاد السودان كانوا يستخدمونه في تجفيف السمك والحيتان التي يصطادونها من النيل –نهر السنغال والنيجر– وهي قوام معيشتهم63. لذلك يعتبر أهم مادة كان يبادلها السودانيون بالذهب.

ولعل مادة الملح كانت لها مكانة خاصة في تلك المبادلات التجارية وهو ما يستنتج من رواية "البكري" والتي يقول فيها: "ومن غرائب تلك الصحراء معدن ملح على يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يوما تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض ويقطع كما تقطع الحجارة ويسمى هذا المعدن تاتنتال... ومن هذا المعدن يتجهز بالملح إلى سجلماسة وغانة وسائر السودان. والعمل فيه متصل والتجار إليه متسايرون وله غلة عظيمة"64. ويتضح من النص أن الملح لم يكن بضاعة مغربية متوفرة في مدن وأقاليم المغرب وإنما كان التجار المغاربة يستبدلون بعض سلعهم بالملح في الصحراء الكبرى، ومن ثم ينقلونه إلى غانا وكوكو.

وقد وردت إشارة مفيدة عن الثمن الذي كان يباع به الملح في السودان عند "ابن حوقل" إذ ذكر "أن حمل الملح، أي ما يحمله الجمل الواحد، كان ثمنه في غانة ما بين مائتين أو ثلاثمائة دينار"65. وأحيانا كان يباع الملح بوزن الذهب أو ربما بوزنتين من الذهب أو أكثر. على قدر كثرة التجار وقلتهم66. وكان حمل الجمل يتراوح ما بين 125 و150 كلغ، الشيء الذي أثار تعليق دوفيس "Devisse" حين قام بالحفريات في منطقة أودغشت في قوله: "إننا إذن، أمام ملح يساوي ثمنا غاليا جدا. فإذا قدرنا أن

الدينار يزن في قيمتهُ المتوسطة 3,80غ، يكون حمل الجمل يساوي في حده الأدنى 760غ من الذهب وفي حده الأعلى 1140غ"67.

ولكن لا ننسى أن الملح كان منعدما في بلاد السودان، وكان لابد من جلبه من الشمال. ومن ثم نشأ التبادل بين الملح والذهب، وصعد سعر الأول إلى تلك الأرقام الخيالية. وقد أشار "البكري" إلى وجود معدنين مهمين من الملح في الصحراء أحدهما في تاتنتال كما سبق الذكر والآخر في أوليل*، وهناك طريقة أخرى لحمله وذلك بواسطة السفن عبر بحر المحيط إلى سواحل السودان الغربي. وفي هذا الصدد قد أشار "الإدريسي" أن السفن كانت تسير لبلاد السودان الغربي، ثم تدخل نهر السنغال إلى دواخل بلاد السودان الغربي حتى سلا وتكرور وغانة68.

ولا شك أن ضرورة جلب الملح إلى بلاد السودان كان محل صراع بين قبائل الصحراء من أجل احتكار هذه التجارة وبخاصة لم تكن الوضعية السياسية مبسطة في الصحراء، بل كانت معقدة ومن شأنها أن تثير أطماعا كبرى69.

أما بخصوص واردات المغرب من بلاد السودان نجد الذهب يتصدر القائمة، حيث اعتاد التجار السفر عبر الصحراء إلى بلاد غانة ومنها إلى مناطق وجود الذهب. وكل القرائن تدفع إلى الاعتقاد بأن بداية جلب الذهب من السودان عبر المسالك المغربية التي أسلفنا الذكر عنها، تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/8م أي قبل أن يتحدث عنها الجغرافيون بنصف قرن على الأقل. وكان اكتشافه في السودان حدثا له أهميته كبرى لم يتنبه لها المؤرخون القدامى بالكفاية. غير أن فقر مصادرنا وسكوتها في كثير من الأحيان هو الذي جعل هذا الحدث التاريخي لا يبرز في كل أبعاده70.

وفي القرن الثالث الهجري/9م بدأت تتسع تجارة ذهب السودان الغربي عن طريق القوافل المنطلقة من ورجلان إلى كاغو بمالي والقوافل المتجهة من سجلماسة إلى أودغشت، وحول هذه الأخيرة ذكر "البكري" "أنه يجلب منها... الذهب الإبريز الخالص خيوطا مفتولة، وذهب أودغشت أجود ذهب أهل الأرض وأصحه..."71. ولذلك اعتبرها المؤلف نفسه باب الصحراء إلى السودان ومعادن الذهب72. وكان أهلها أثرياء من هذه التجارة. وقد أشاد "ابن حوقل" بهذا " أن قوافلهم -أهل سجلماسة- غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة؛ قلما يدانيها التجار في بلاد الإسلام سعة حال"73.

غير أننا لا نحتكم إلى معطيات تاريخية عن كيفية جمع الذهب من مصادره الأصلية خلال القرن الرابع الهجري، باستثناء ما ورد عند "ابن الفقيه" في قوله: أن الذهب ينبت فيها -غانة- نباتا في الرمل كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس"74. ويبدو أن النص ذو طابع أسطوري وربما جاءت هذه الصيغة تعبيرا على الكثرة. بينما تعتبر رواية "الإدريسي" هي الأقرب إلى الحقيقة عندما ذكر أن "النيل إذا أخذ في الرجوع والجزر رجع كل من في بلاد السودان... بحاثا يبحثون طول أيام رجوع النيل، فيجد كل إنسان منهم في بحثه هناك ما أعطاه الله سبحانه كثيرا أو قليلا من التبر وتاجر بعضهم بعضا "75.

وفي النص دلالة على مشاعة استهلاك هذه المادة، إذ هي لا تخضع لأدنى قانون الملكية؛ بل المسألة متوقفة على الحظ. وهذا يترك عدة تساؤلات عن هاته المجتمعات التي كانت بحوزتها معدن الذهب و لم تحسن استغلاله.

نفتقر إلى معلومات وافية عن الأسلوب التجاري الذي تم به جلب ذهب السودان إلى مناطق بلاد المغرب، ولعل أحسن وصف له ما ورد عن "ياقوت الحموي" أنه كان يتم فيما اصطلح عليه بالسوق الصامتة أو "المقايضة الخرساء". فلا يستبعد أن جرت عملية التبادل التجاري الأسلوب نفسه خلال القرن الرابع الهجري.

ومن الأدلة التي تشير إلى اتساع نطاق استعمال النقود الذهبية في خلال هذا القرن، هو قيام الفاطميين بضرب النقود الذهبية طيلة تواجدهم يبلاد المغرب وذلك بفضل جمعهم لثروة طائلة؛ وما وصل إليهم من ذهب السودان والذي احتكروه، وشكلوا به رصيدا هاما سمح لهم في ظرف قصير تحقيق خططهم لغزو مصر. وكل هذا يعود للسياسة النشيطة التي قامت على الدينار. فقد ضاعفوا نشاطهم لضرب نقود الذهب مما أدى إلى تفوق الدينار الفاطمي كما وكيفا76.

وكان لمظاهر الأبهة داخل بلاط الخلفاء الفاطميين كصنع حصير وسراج وسيوف من الذهب، دلالة على توفر هذه المادة بكثرة حتى تعددت أغراض صناعاتها. وما تلك الأموال التي حملوها معهم عند رحيلهم إلى القاهرة سوى برهان عن مدى استفادة هؤلاء من جلبهم لذهب السودان، حيث أطنب المؤرخون[77] عند وصفهم لعملية سبك الدنانير، وعملها مثل الطواحين وحملها على الجمال. كما لا يستبعد استمرار تدفق الذهب في عصر حكم بن زيري لبلاد المغرب، غير أن المصادر التاريخية قلما تناولت هذا الموضوع الحيوي وربما يعود ذلك لطغيان الأحداث السياسية والعسكرية عن المسائل الاقتصادية.

شكل العبيد سلعة هامة في خط متواز مع تجارة الذهب، إذ أصبحت ميزة أساسية من ميزات المجتمع المغربي خلال مرحلة دراستنا، حيث كانت وراء استفحال هذه الظاهرة، هي الضرورة العسكرية والاقتصادية. وفي السياق نفسه علل "الجنحاني" أن حاجة العالم الإسلامي إلى العبيد ازدادت مباشرة بعد انتهاء عمليات الفتح وبداية الاستقرار، ترتب عن ذلك عملية التعمير مما اضطر إلى تعدد مصادر توريد اليد العاملة[78].

واعتبرت بلاد المغرب أنموذجاً عن شيوع ظاهرة جلب الرقيق من مناطق متعددة. وشكلت بلاد كانم من بلاد السودان، المصدر الرئيس في تزويد هذا النوع من التجارة[79]، ولاسيما ابتداء من القرن الرابع الهجري، حيث وردت فتاوى في المصادر الفقهية عن الرق والعتق لفقهاء المغرب من هذا القرن، وعلى سبيل الذكر فتوى للفقيه "ابن أبي زيد القيرواني" عن شراء جارية داخلة في المغنم[80].

وقد ساهم الرقيق إلى جانب سلعة الذهب في ازدهار المراكز التجارية الهامة، وقد استغلت بلاد السودان لتوفير العبيد، وهذا بفضل تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء، واعتبرت أهم فئات رقيق السودان هم التكرور السنغاليون والصونكي الغانيون والسونغائي من كاوكاو، أو الساو من كانم نحو نول لمطة وإلى سلجلماسة. ومن هناك يتجه إلى المغرب الأقصى والأندلس، أو إلى ورجلان والجريد ثم إلى إفريقية وفزان وطرابلس وبرقة ومصر وسائر بلاد المشرق[81].

لقد مثل هؤلاء القوة المنتجة في مختلف ميادين النشاط الاقتصادي، فهم العاملون في الحقول وفي المناجم، وفي حراسة القوافل التجارية، وفي الورشات الحرفية. هذا إلى جانب استخدامهم في الأعمال المنزلية، ولم يعد امتلاكهم مقصورا على الأسر الحاكمة بل تعداها إلى الفئات الثرية ولاسيما التجار حيث كان لتاجر من أودغشت ألف خادم أو أكثر[82]، ولا يطرح الرقم استغراب إذا عرفنا ما يحتاج إليه القوافل التجارية من حراس وعمال[83].

كما أصبح اتخاذ الحرس الخاص من عبيد السودان أمرا شائعا لدى حكام بلاد المغرب ابتداء من القرن الثاني الهجري/8م، فاعتمد الأغالبة في المجال العسكري على الزنجي بعد أن استغنوا عن الجندي العربي[84]. والحديث ينسحب على بني مدرار حيث احتلت هذه العناصر شأوا عظيما في الجندية[85]. وبالمثل، اقتفى الفاطميون أثر ذلك، فاتخذ "عبيد الله المهدي" بعد بيعته مباشرة العبيد من السودان والروم[86]. وقد ذكر "العزيزي الجوذري"، كيف اتخذ هذا الخليفة العبيد، بعد دخوله رقادة " فقد حصّلت بين يديه مع جملة من حصل من الصقالبة وغيرهم"[87] وليس بالبعيد أن كان ضمن عبارة غيرهم عبيد من السودان لأن حضورهم كان واقعا. وأورد المؤلف نفسه عبارة تدل على أن الفاطميين اتخذوا العبيد من السودان، في قوله: "... التفت إلى من كان واقفا بين يديه، وكان الأمير "عبيد الله" –عليه السلام– من الوقوف واسحاق بن موسى وغيره من السودان الخدم"[88]. وفي السياق نفسه وردت إشارة عند "المالكي"[89] تفيد في اتخاذ الدولة الفاطمية السودان كعناصر لردع المخالفين لهم. كما أكد ذات الحقيقة "المقريزي"[90] في استخدام هذه الدولة للسودان ضمن عسكرها.

وسار الزيريون على نهج الفاطميين فقد ذكر "ابن عذاري" أن "عبيد الله بن محمد الكاتب" عامل إفريقية سنة(373هـ/983م) اشترى العبيد من السودان ووزعهم على مختلف الدواوين، فاجتمع له منهم ألوف[91]. وفي النص دلالة على كثرتهم خلال هذه المرحلة التاريخية.

كما أولت المصادر الجغرافية اهتماما خاصا بهذه التجارة إذا أشار "اليعقوبي"[92] عند ذكره لمدينة زويلة، أن تجارها كانوا يأتون بالعبيد من بلاد السودان. وأكد "الأصطخري" على ذلك في قوله: "هؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى زويلة"[93]. وهكذا اتخذت هذه المدينة محطة لتجمع القوافل المزودة بالعبيد[94].

ولا غرو أن تجارة الرقيق كانت رائجة لما تدره من أرباح وأموال طائلة، وقد اتسع نطاقها في آخر عهد بني زيري بفضل الغزو في البحر أو ما اصطلح عليه بالقرصنة"[95]. هذا وقد أشار "البكري" إلى أنه كان يجلب من أودغشت سودانيات طباخات محسنات تباع الواحدة منهم بمائة مثاقيل[96]. وذكر مجهول صاحب كتاب "الاستبصار" أن نوعا من السودانيات اللائى جلبن من أودغشت ماهرات في الطبخ تحسنّ عمل الأطعمة ولاسيما الحلويات؛ فلا يوجد أحدق بصنعتها منهن"[97].

وأكد "ابن حوقل" المتقدم عنهما زمنيا هذه الروايات عندما ذكر أن من بين ما يجهز من المغرب إلى المشرق الخدم المجلوبون من بلاد السودان[98]، وهذا يؤكد أن العبيد كانوا سلعة رائجة ومربحة، لهذا لا تستبعد أثار هذه التجارة في المدن الصحراوية[99].

وعلاوة على هاتين البضاعتين الثمينتين، كان التجار المغاربة يحملون من بلاد السودان الدرق اللمطية، فذكر "الإدريسي" أن مدينة نول تصنع الدرق اللمطية التي لا شيء أبدع ولا أصلب منها ظهرا ولا أحسن منها صنعا، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها"[100]. وهذه الرواية وأن بدت بعيدة عن حقبة موضوع الدراسة إلاّ أن فيها بعض الحقائق التي سبق وأن ذكرها "ابن حوقل" أنه من سجلماسة إلى لمطة معدل الدرق اللمطية عشرون يوما[101]. وقد أشار "الدرجيني"[102] إلى وصول كهذه الدرق إلى مدينة تيهرت في مرحلة الحكم الرستمي.

وجلبت الأحجار الثمينة والعنبر وريش النعام من بلاد السودان[103]. وأشار "الإدريسي" أن شب كوار بالكانم بالغ الجودة يتجهز به إلى سائر البلاد ومنها بلاد المغرب[104]. وكانت تصدر أنياب الفيل إلى المغرب الأقصى[105]. كما أن القوافل التجارية حملت أنواعا من حيوانات بلاد السودان كالفيلة والزرافات إلى بلاد المغرب، وهذا النوع من التجارة يشوبه الغموض، حيث لم ترد تفاصيل مهمة في المصادر التاريخية، وبالتالي يظل توظيفها في باب التجارة يحتاج إلى دراسة وبحث.

اعتبرت المدن المغربية مخازن لبضائع بلاد السودان، نتيجة التجارة العابرة للصحراء، من أجل إعادة توزيعها في اتجاه صقلية والمشرق الإسلامي من شواطئ إفريقية، أو في اتجاه الأندلس وبلاد الإفرنج من سواحل مضيق جبل طارق[106]. وأعظمها شأنا كانت بطبيعة الحال ذهب السودان، والذي ظل لستة قرون العصب المحرك لديناميكية التطور العالمي في العصر الوسيط[107]. إذ كان الذهب يغذي مصانع ضرب العملة الذهبية في بلاد المغرب ومنطقة بحر الروم[108]، كما كان يدعم حركة التبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب من جهة وبين المغرب والمشرق الإسلامي وبحر الروم من جهة أخرى[109].

والملفت للانتباه أن بعض المدن المغربية الواقعة على هذه المسالك المهمة تحولت إلى مجرد نقاط عبور دون الاستفادة تجاريا من ذلك، بينما نجد في نفس الوقت مساهمة هذه التجارة في نهضة مناطق عمرانية أخرى مزدهرة يصلها المعدن عن طريق مدن بلاد المغرب[110].

وخلاصة القول، أن آثار القرن الرابع الهجري/10م أحدث توسيعا في شبكة الاتصالات لبلاد المغرب، حيث ربط بحر الروم ربطا كليا وشاملا بإفريقيا جنوب الصحراء. كما لعبت الواحات الجنوبية دور الوسيط الحقيقي في هذه العلاقات التاريخية السلمية والاقتصادية والإنسانية والدينية، مما أتيحت بفضل ذلك لبقية العالم، شرقا وغربا فرصة الاستفادة منها، وتنمية ثروته وموارده.

الهامش

1- اهتمت بعض الدراسات الحديثة بموضوع الاتصالات الأولى لبلاد المغرب بالصحراء الإفريقية وتباينت وجهات نظرها، ونذكر من جملتها: القاسمي هاشم العلوي، مجتمع المغرب الأقصى حتى منتصف القرن الرابع الهجري، منتصف القرن العاشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الرباط، 1995، ج 1، ص386. محمد زنيبر، المغرب في العصر الوسيط، الدولة،المدينة، الاقتصاد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط،1999،ص 397.

2- Mauny.R, Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen Age D'après les sources Arabes, Ifran- Dakar,1961,pp21-24et 397,406,429.Laroui.A; L'histoire du Maghreb, Maspero, Paris, 1970 ;T1,p114
أورد كل من ابن عبد الحكم والرقيق القيرواني والبكري وابن عذاري معلومات عن اتصال العرب المسلمين ببلاد السودان وجلبهم للذهب، ينظر : فتوح مصر وإفريقية، قسم من كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ،1964، ص 94 ؛ تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيـــق، عبد الله العلي الزيدان، عز الدين أحمد موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990، ص 72 ؛ المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة، Paris.Librairie D'Amérique et D'Orient ,1963. ص 156-157؛ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة، ج. س. كولان، إ. ليفي. بروفنسال دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983، ج1، ص 51.

3- الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة، عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1979، ص 26.

4- Mauny.R, Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen Age D'après les (4 sources Arabes, Ifran- Dakar,1961,p118.

5- إدريس صالح ،العلاقات الاقتصادية والثقافية بين دولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، بغداد، العدد الأول ،1983، 86،77.

6- صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة د.ت، ص 65.

7- صباح الشيخلي، تاريخ الإسلام في افريقيا، مديرية مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1987، ص93

8- بحاز ابراهيم، الدولة الرستمية(160-296 هـ/777-909م)–دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية–، نشر، جمعية التراث، القرارة، ط2، 1993، ص217 .

9- كتاب البلدان، دار إحياء التراث، بيروت،1987.، ص115.

10- معجم البلدان، دار الصادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1984.،ج 3، ص192.

11- صورة الأرض، ص65 .

12- المغرب، ص149.

*) وهم بربر من صنهاجة الملثمين. اليعقوبي ،المصدر السابق، ص 115، وهي إتحاد مسوفة جدالة ولمتونة، جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.، ص215.

13- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 115.

14- المصدر نفسه، ص 115 .

15- صورة الأرض، ص 97، 95 .

16- المغرب، ص156 .

17- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص260.

18- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

19- البلدان، ص 115.

20- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 249 .

21- صورة الأرض ،ص 96-67 .

22- البكري، المصدر السابق ،ص 159 ،168 .

23- صورة الأرض، ص 91 .

24- كتاب البلدان، ص 87

25- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 248 .

26- البلدان، ص 114.

27- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

28- المعجم، ج 3، ص 192.

29- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الأفاق الدينية، القاهرة، 2002، ج 1، ص 243.

30- صورة الأرض، ص 90 .

31- اليعقوبي، المصدر السابق، ص 107 ،109.

32- صورة الأرض، ص 87 .

33- بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 214-215 .

34- البكري، المصدر السابق، ص 182 . جغرافي مراكشي من (ق6 هـ/ 12م) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية، 1958، ص 224.

35- Mauny . R , op.cit.,pp118-120.

36- البكري، المصدر السابق، ص 183.

37- قدرت المسافة بين بلاد الجريد والقيروان بنحو سبعة أيام، في حين بلغت المسافة بين قسطيلية وواحة ورجلان بنحو أربعة عشر يوما. المصدر نفسه، ص 182.

38- أبو زكرياء، السير، ص 165-166. الدرجيني، الطبقات، ج 1، ص 92-93 . وراجع دراسة بحاز إبراهيم، المرجع السابق، ص 215-216 .

39- 39- القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، تحقيق، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية تونس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 2، 1986، ص 163-164 .

40- الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ج 1، ص 95. محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1976، ص 234.

41- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، ترجمة، حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988، ج 2، ص 291.

42- البكري، المصدر السابق، ص 182-183. ينظر، بحاز ابراهيم، المرجع السابق، ص 218-219.

43- تقدر المسافة بين فزان وزغاوة مسيرة شهرين وبين زويلة واجدابية بنحو اربعة عشر مرحلة. البكري، المصدر السابق، 10.

44- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 90 . موريس لمبارد، المرجع السابق، ص 85.

45- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ج6، ص 191 —192. إدريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص 77.

46- محمود إسماعيل عبد الرازق، الأغالبة (172 —375 هـ) حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة1991، ص 174.

47- دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص 68.

48- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

49- الحلة السيراء، تحقيق، حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1985، ج1، ص 307.

50- البكري، المصدر السابق، ص 48، 158.

51- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

52- اليعقوبي، المصدر السابق، ص102. مجهول الاستبصار، ص145. محمود إسماعيل عبد الرازق، الأغالبة، ص73.

53- اليعقوبي، المصدر السابق، ص98 . مجهول، الاستبصار، ص145.

54- Dengel-G, L'imamat de Tahert (761-909) Thèse de Doctorat 3ème cycle Strasbourg , Université des Sciences Humaines, 1977, p 226, Note 9.

55- أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، محمد ناصر وإبراهيم بحاز، المطبوعات الجميلة، الجزائر، 1986، ص32.

56- نزهة المشتاق، ج1، ص18، 232.

57- مجهول، الاستبصار، ص212-213 .

58- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص225-226 . الجنحاني،المرجع السابق، ص181.

59- المعجم، ج2، ص12.

60- موريس لمبارد، المرجع السابق، ص295.

61- مجهول، الاستبصار، ص181.

62- ابن حوقل، المصدر السابق، ص98 .موريس لمبارد، المرجع السابق، ص295.

63- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص17.

64- المغرب، ص171.

65- صورة الأرض، ص98.

66- الغرناطي، أبو حامد محمد بن عبد الرحيم، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ص39.

67- J.Devisse, Tegdaoust, Recherche sur Aoudaghost, T1, Paris 1970, P12.

*) فأما جزيرة أوليل فهي على مقربة من الساحل وبها الملاحة المشهورة ولا يعلم في بلاد السودان ملاحة غيرها ،الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص17. وعن أهمية الملح بها ينظر خاصة، ابن حوقل، المصدر السابق، ص91.

68- نزهة المشتاق، ج 1 ص 17.

69- المغرب، ص171.

70- إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص53-54.

71- المغرب، ص159.

72- المصدر نفسه، ص 149.

73- صورة الأرض، ص65.

74- مختصر كتاب البلدان، ليدن، 1885، ص87.

75- نزهة المشتاق، ج1، ص24-25.

76- موريس لمبارد، المرجع السابق، ص157.

77- العزيزي الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق، محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي،القاهرة، 1954، ص47، 88. المقريزي، الخطط المقريزية، المسماة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج 1، ص 352 .

78- المغرب الإسلامي، ص28-29.

79- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج2، ص299.

80- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب،أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، الرباط 1981، ج 6، ص 169. ج9، ص 211 .

81- ابن حوقل، المصدر السابق، ص95 .موريس لمبارد، المرجع السابق، ص266.

82- البكري، المغرب، ص168.

83- الجنحاني، المرجع السابق، ص30.

84- المرجع نفسه، نفس الصفحة . محمود إسماعيل عبد الرازق، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1988، ص333.

85- محمود إسماعيل عبد الرازق، الخوارج، ص117.

86- القاضي النعمان، الافتتاح، ص303.

87- سيرة الأستاذ جوذر، ص35.

88- المصدر نفسه، ص146.

89- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم، تحقيق، بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1994ج2، ص54.

90- كتاب المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية، اختيار وتحقيق، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص187.

91- البيان، ج1، ص238.

92- البلدان، ص102.

93- المسالك والممالك، تحقيق، محمد عبد العال الحسيني، دار القلم، القاهرة، 1961، ص 36- 37.

94- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 299.

95- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

96- المغرب، ص 158.

97- مجهول، الاستبصار، ص 216 .

98- صورة الأرض، ص95.

99- الهادي روجي إدريس، المرجع السابق، ج 2، ص 299 .

100- نزهة المشتاق، ج1، ص224

101- صورة الأرض، ص95.

102- الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص54.

103- المغرب، 171، 182.

104- نزهة المشتاق، ج1، ص118.

105- القزويني، آثار البلاد، ص24.

106- الجنحاني، المغرب الإسلامي، ص18، موريس لمبارد، المرجع السابق، ص157.

107- لاكوست. إيف، ابن خلدون، ترجمة، ميشال سليمان، دار ابن خلدون، بيروت، ط 2، 1978، ص21.

108- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص231.

109- موريس مبارد، المرجع السابق، ص174.

110- راجع تفاصيل توزيع ذهب السودان إلى مراكز الإنتاج في العالم عند موريس لمبارد، المرجع السابق، ص156-157.